

## الحلقة (٢٤)

### موضوع الحلقة تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة:

وهذه الآية مشتملة على أحكام كثيرة يقول الله تعالى {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

هذه الآية تشتمل على أحكام كثيرة ترتبط بالحج، أولاً: يذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية هي التي جاءت بفرضية الحج أو دالة عليه، وهذا قول غير صحيح، هذه الآية فيها أنه من دخل في نسك الحج والعمرة فعليه إتمامه، وليس فيها الأمر بالحج، وإنما أخذ العلماء فرضية الحج من قوله {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} وهذه الآية في سورة آل عمران، أما هذه الآية فليس فيها فرضية الحج، هذه الآية فيها من دخل في أحد النسكين الحج والعمرة فعليه أن يتمهما،

قوله تعالى {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} الحج في اللغة هو القصد، أما في الاصطلاح هو: قصد بلد مخصوص لأداء عبادة مخصوصة، في وقت مخصوص، من شخص مخصوص، أما العمرة في اللغة: هي الزيارة.

أما الفرق بين الحج والحج؟ الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب يقول أن الحج المصدر، وبكسرهما الاسم، وقال الفراء هما لغتان، على كل حال الحج أو الحج، لكن المقصود معناه في اللغة القصد، والعمرة في اللغة الزيارة، ويقال انه جاء في كتب اللغة أن المراد بالعمرة باللغة القصد مثل الحج.

### ← ما المراد بالإتمام؟ اختلف فيه على أقوال:

• القول الأول: أن معنى الإتمام أن يفصل بينهما، وهو أن يأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، وهو مذهب عمر رضي الله عنه، وبه قاله الحسن وعطاء، وهدفه رضي الله عنه أن تتكرر الزيارة وأن يعمر البيت.

• القول الثاني: أن يحرم الرجل من دويرة أهله، يعني يأتي بالعمرة في سفر والحج في سفر آخر، قاله علي رضي الله عنه وطاووس وسعيد بن جبير.

• والقول الثالث: أنه إذا شرع في أحدهما لم يفسخه حتى يتمه.

• القول الرابع: أنه فعل ما أمر الله فيهما من أحكام وهذا قول مجاهد.

والحقيقة هنا القول الثالث هو الأقرب وعليه أكثر أهل العلم، وهو من دخل في أحد هذين النسكين

فعليه أن يتمه ولا يفرغ منه حتى ينتهي.

وقوله تعالى: **{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}** جمهور القراء على نصب العمرة، وذلك بإيقاع الفعل عليها فتكون مفعولاً به، وهناك قراءه شاذة قراءة ابن مسعود والأصمعي وغيرهما قرأوها بالرفع **{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}**، وعلى كل حال قراءة الجمهور تدل على أنها معطوفة، وأنها واجبة، وهذا هو الصحيح ومذهب الجمهور بأن العمرة واجبة ويستدلون بقوله تعالى **{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}** وهذا مذهب علي وابن عمر و ابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء، وهناك قول آخر عن ابن مسعود وجابر رضي الله عنهما والشعبي وإبراهيم وأبي حنيفة ومالك أنها سنة وتطوع، ولكن الصحيح أنها واجبة، بدلالة هذه الآية ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(حج عن أبيك واعتس)** فدل هذا على أن العمرة واجبة، وهناك قول آخر أنها سنة (ولكنه مرجوح).

وقوله تعالى **{فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ}**: قال ابن قتيبة: يقال أحصره المرض والعدو إذا منعه من السفر، ومنه هذه الآية، وحصره العدو إذا ضيق عليه، وقال الزجاج: يقال لرجل إذا حبس قد حصر فهو محصور، وعلى هذا اختلف العلماء في المراد بالإحصار على قولين:

• **القول الأول**: أنه لا يكون إلا بالعدو، ولا يكون المريض محصراً، وهذا مذهب ابن عمر ابن عباس وأنس ومالك والشافعي وأحمد ويدل عليه قوله **{فَإِذَا أَمْتُمْ}**، فالأمان لا يكون إلا بعد ذهاب العدو والخوف، فهم يقصرون الإحصار على منع العدو، إذا جاء عدو ووقف على باب مكة ومنع الناس من الدخول فهذا يعتبر نوع من الإحصار وهم يرون أنه خاص بمنع العدو.

• **القول الثاني**: أن يكون بكل حابس من مرض أو عدو أو عذر أو نحوه، وهذا هو القول الصحيح، ومعنى الآية: فإن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتكم، فعليكم ما استيسر من الهدى، ومثله قوله: أو به أذى من رأسه ففديه أي، فحلق ففديه، المهم فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى، **القول الرابع** أن الإحصار يشمل ما لو كان في عدو أو مرض أو فرضاً لو جاءت سيول شديدة أو رياح المهم أي نوع من الإحصار يدخل في هذه الآية فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى.

وقوله **{الْهَدْيُ}**: الهدى ما أهدي إلى البيت من الإبل والبقر والغنم، وأصله هديّ مشدد، لكنه خفف، وبالتشديد قرأ الحسن ومجاهد وعلى كل حال هي قراءة شاذة، ولكن القراءة السبعية بالتخفيف: فما استيسر من الهدى، واختلف المراد بالهدى على ثلاثة أقوال:

• **القول الأول**: أنه شاة أنه يكفي أن يذبح شاة ويحل، وهذا قول علي وابن عباس والحسن وعطاء وسعيد بن جبير وغيرهم.

• **القول الثاني**: أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير، أما الغنم فلا، قاله ابن عمر وعائشة.

• **والقول الثالث**: أنه على قدر الميسرة، أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأخسه شاة، أي أقله، قال أحمد الهدى من الأصناف الثلاثة من الإبل والبقر والغنم وهو قول أبي حنيفة، على كل حال الذي يجزئ منه

شاة، الذي يريد أن يذبح بقرة أو ناقة هذا الأمر إليه، لكن أقله شاة.

{وَلَا تَخْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ} هذا فيه دليل على أن من محظورات الإحرام حلق الرأس، وقد قاس عليه بعض العلماء بقية الشعر من أجزاء الجسم، ومن الحكمة من هذا: عدم الترفه وعدم العناية بالزينة، فهو متوجه بقلبه وقلبه لأداء هذه الفريضة العظيمة الحج أو العمرة، فينبغي له ألا ينشغل.

وقوله تعالى: {حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ} قال ابن قتيبة المحل الموضع الذي يحل به نحره، وفي المحل

قولان:

أحدهما: أنه الحرم، قاله ابن مسعود والحسن وعطاء.

والثاني: أنه الموضع الذي أحصر به، فيذبحه ويحل، وعلى كال حال لو كان محصراً يذبحه في المكان الذي هو فيه، ولو كان غير محصر فإن عليه ذبحه في منى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (نحرت هاهنا ومنى كلها منحر، وفجاج مكة طريق ومنحر)، أي: إن كان محصراً يذبح في محله الذي أحصر فيه، وإن كان غير محصر يذبح يوم العيد في منى وفي فجاج مكة كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ}

هذا معروف نزل في قصة كعب بن عجرة رضي الله عنه، جاءه النبي وقد كثر القمل في رأسه، حتى تهافتت على وجهه، فقال النبي إني أرى هوام رأسك قد آذتك، فقال نعم، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يحلق رأسه وأن يفتدي، وجاءت السنة ببيانه {فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ} السنة هنا صيام ثلاثة أيام {أَوْ صَدَقَةٍ} وهي إطعام ستة مساكين {أَوْ نُسُكٍ} ذبح شاة، السنة بينت هذا أنه إما أن يصوم ثلاثة أيام، أو يطعم ستة مساكين، أو يذبح شاة، يختار واحد منها، والعلماء عموماً هذا في باقي محظورات الإحرام، عدا الجماع فهذا شيء آخر.

وقوله تعالى: {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} أي من العدو، لأن المرض لا تؤمن معاودته، قال علقمة إذا أمنت من الخوف والمرض، وعلى الراجح أن الإحصار يشمل هذا كله.

وقوله تعالى: {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ} معناه أي من بدأ العمرة في أشهر الحج، وأقام الحج من عامه ذلك فعليه ما استيسر من الهدى، وهذا هو الحق، التمتع وهو أحد أنساك الحج وهو أفضلها على الراجح، أن يأتي بهما في سفر واحد في أشهر الحج، شوال أو ذي القعدة أو ذي الحجة، والمهم أن التمتع عليه هدي، قال العلماء لأنه أتى بنسكين في وقت واحد، أو في أشهر الحج، أو في سفر واحد، فيجب عليه أن ينحر هدي.

وقوله تعالى: {فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ}: قال الحسن قبل التروية بيوم، ويوم التروية، ويوم عرفة، وقيل أن هذه الأيام أمرها سهل، لو صامها قبل يوم التروية معه يوم التروية، أو صامها أيام التشريق غير أيام العيد، أو لو أجلاها حتى يرجع إلى أهله، فأمره سهل ولا حرج عليه إن شاء الله

تعالى.

قوله تعالى: {وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ} فصيام ثلاثة أيام كما قلنا أنها إما يوم التروية وما قبله أو أيام التشريق وما بعدها، ولو أجلبها فللأجل حرج، وقوله وسبعة إذا رجعت المراد به قولان:

• الأول: إذا رجعت إلى أمصاركم إلى بلادكم.

• والقول الثاني: إذا رجعت من حجكم وكلاهما صحيح.

قوله تعالى {تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ} اختلف المراد في هذه الجملة على أقوال:

• القول الأول: أنها كاملة في قيامها مقام الهدي، فهذه العشرة شرعها الله وهي تقوم مقام الهدي.

• القول الثاني: أن الواو تقوم مقام "أو" في مواضع ومنها هذه الآية، فأزال الله احتمال التخيير في هذه الآية بقوله تلك عشرة كاملة، وفي لغة العرب قد تأتي (الواو) بمعنى (أو) (وأو) بمعنى (الواو) فأزيل بهذه (تلك عشرة كاملة) ما قد يذهب إليه الذهن بأن الواو هنا للتأخير.

• القول الثالث: أن ذلك للتوكيد، وهذا معروف في لغة العرب، قال تعالى (وإذ واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة)، فـ ٣٠ = ١٠ + ٢٠، وهنا ٣ و ٧ = ١٠، والقرآن نزل بلغة العرب، وهي تكرر الشيء للتوكيد.

• القول الرابع: أن معناه تلك عشرة كاملة في الفصل، وإن كانت الثلاثة في الحج والسبعة بعد، لئلا يسبق إلى وهم أحد أن السبعة دون الثلاثة، وهذا القول ليس بذاك.

• القول الخامس: أنها لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والتقدير تلك عشرة فأكملوها، يعني اعتنوا بها، ولا تتساهلوا، على كل حال هي عشرة ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

قوله تعالى: {ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} اختلف في المشار إليه على

قولين:

• أحدهما: أنه التمتع بالعمرة إلى الحج.

• والثاني: أنه الجزاء بالنسك والصيام، ومعروف أن من كان من أهل المسجد الحرام فإنه لا تمتع عليه، فلذلك ليس عليه هدي، {ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} اللام في قوله {لمن} بمعنى على، فأما {حاضري المسجد الحرام} فقال ابن عباس هم أهل الحرم، وقال عطاء من كان منزله دون المواقيت، فمعنى الآية إن هذا الفرض لمن كان من الغرباء، وإنما ذكر "أهله" وهو المراد بالحضور، لأن الغالب على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون، يعني هذا الحكم الذي مضى، والهدي، وصيام العشرة إن لم يجد الهدي، هذا فيمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، وأما من كان حاضراً المسجد الحرام، فإنه ليس عليه شيء من ذلك.

قوله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} جاء الأمر بتقوى الله هنا يعني تنبيه للحاج على أن يحرص أن يحقق مقام التقوى، الذي هو الزاد الحقيقي، يقول تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ

**التَّقْوَى**، فالحج فريضة عظيمة ورتب عليها أجر عظيم، قال صلى الله عليه وسلم (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) وقال عليه الصلاة والسلام: (من حج هذا البيت، فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه، كيوم ولدته أمه) هذا الحج العظيم وفضله الكبير لا بد فيه أن يحرص الحاج على أن يوفق في حجه لطاعة الله، ويستن بسنة عليه الصلاة والسلام القائل: (خذوا عني مناسككم)، يطيب نفقته، يخلص عمله لله عز وجل، يحذر مما سيأتي بيانه { فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } ويسأل الله القبول أولاً وآخراً { رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }.